

الفصل الأول

حركة الترجمة والتعريب في العصر الحديث أبعاد وضرورات التعريب في العالم العربي والإسلامي

إن للتعريب في عالمنا العربي خاصة والإسلامي عامة أبعاداً متعددة ، منها الاجتماعي ومنها اللغوي ومنها الاقتصادي ومنها السياسي ، إلخ .. أما عن البعد الاجتماعي ، فيقول الدكتور محي الدين صابر (المدير العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية) في حديث أجرته معه جريدة الشرق الأوسط (في عددها الصادر في ١٢/١٢/١٩٨٢)^(١) : ليس التعريب بقضية لغة ، بل هو قضية حضارية أساسية تواجهنا حالياً ، فاللغة ليست ألفاظاً ، بل هي فكر ، وبالتالي لا بد من تطوير المجتمع العربي ، واستيعاب حضارة العصر ، وذلك لا يتم إلا عبر اللغة كوسيلة وكأداة . اليابان مثلاً - وهو مثل تقليدي - أوجدت شخصيتها عبر لغتها الخاصة ، وقد أضحت اللغة اليابانية لغة تكنولوجية حديثة ، أى لغة لها عمق تاريخي وتراث ضخم ، من حقها أن تكون مثل اللغات الأخرى .

وأما عن البعد اللغوي فيقول الدكتور صابر في نفس الحديث : إن اللغة العربية ارتبطت كثيراً بالتراث ، خاصة التراث الإسلامي ، وهذا هو العامل الذي أغرى الغرب على محاربة اللغة العربية ، وحين أسس الاستعمار المدارس الحديثة حرص على إبعاد اللغة العربية ، وقد أقصيت عن المجالات الإدارية والاقتصادية والتقنية أيضاً ، وبالتالي أصبحت معرفة اللغة العربية لا تجدى نفعاً في المجتمع العربي - وهذا وضع شاذ ، أو بمعنى آخر هو أن اللغة العربية حورت في عقر دارها . وإذا كان أساتذة اللغات في الغرب هم أفضل الأساتذة ، فهل هكذا هو وضع أساتذة اللغات في الدول العربية الآن؟! لا أود التحدث عن هذا الوضع فالحديث يطول إذاً .. وخلاصة القول أن الغرب أراد أن يدفعنا إلى احتقار الذات ، لأننا للأسف احتقرنا لغتنا ، وكما ترى فإن

(١) نقل الكلام هنا بتصريف زيادة في الإفادة .

قضية التعريب مرتبطة بمجموع الكبرياء القومى .. هذا إضافة إلى أن تدريس العلوم بلغة أجنبية يضعف العربية ذاتها لأن اللغة كائن حى يولد وينمو مع الزمن ويتأثر بالبيئة الطبيعية والاجتماعية ، فإذا ما جُعل في عزلة وأبعد عن مجريات الحياة ومسافات التطور ضمّر أو جمد مكانه^(١) .

ولقد بحث الدكتور على القاسمى في هذه الضرورات وتلك الأبعاد ، فوجد منها أبعاداً سياسية واقتصادية وغيرها ، فأما عن البعد السياسى فإن الدولة التى تستقل عن المستعمر لا يكون استقلالها كاملاً ما لم تستعمل لغتها القومية في كافة مؤسساتها وهيئاتها المختلفة ، وإذا كانت الأمة ليس لها ثقافة متميزة تطبعها بطابعها فلا شخصية مستقلة لها أو كياناً متميزاً يفرقها عن غيرها من الأمم ، ومعلوم أن اللغة هى الأداة المعبرة عن الثقافة .

وأما البعد الاقتصادى ، فإن خطط التنمية تتوقف في الأمة على تفهّم جميع قطاعات الشعب لها وتعاونهم في سبيل تنفيذها ، ويتحقق ذلك من خلال مؤسساتها التعليمية والإعلامية ، ويتطلب هذا محو أمية الناس ، وبالطبع لا تنمحي الأمية إلا باللغة الوطنية التى يستخدمها الناس في حياتهم .

وأما عن البعد الحضارى فيقول الدكتور القاسمى : إن تعلم العربية يُعدّ من أولى واجبات المسلم الذى يرغب في التفقه في دينه ، وعن طريق هذا الواجب انتشرت العربية في جميع بقاع العالم وهوت لها نفوس بليون مسلم في أرجاء المعمورة . واختيار الله تعالى العربية لغة لدينه الحنيف تشريف للعرب وتكليف في الوقت ذاته ، فقد أضحي من واجبه تعليم العربية لغير الناطقين بها ونشرها في كل مكان . وكيف يستطيع العرب نشر العربية بين غيرهم إذا أهملوها في ديارهم واستخدموا لغة أجنبية في مدارسهم ومعاهدهم ؟!

ومن الضرورات أو الدواعى الضرورية للتدريس بالعربية أى لتعريب العلوم ، أن التعليم في عالم اليوم صار للمواطن بمثابة الخبز ، يقبل عليه أبناء الفئات الاجتماعية المختلفة لا أبناء الفئات المتمتعة بالجاه والمال فحسب ، ومن هنا نشأت فكرة « ديمقراطية

(١) الخورى (شهادة) : تعريب التعليم العالى وصلته بالترجمة والمصطلح . اللسان العربى (٢١) ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م . وكذلك : تدريس العلوم باللغة العربية في الوطن العربى . المجلة العربية للعلوم ٦ (٥) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

التعليم» أى إتاحة الفرصة لجميع طالبي العلم والراغبين فيه مهما تباينت أوضاعهم الاجتماعية والمادية . وهذا المبدأ ينفي احتكار العلم من قبل فئة متميزة في مقدورها أن تنفق على الدراسة في المدارس الأجنبية أو الخاصة ، وصار لزاماً أن يؤمن التعليم في جميع المراحل وفي كل التخصصات لكل قادر عليه باللغة العربية^(١) .

وهناك ضرورات أخرى تربوية ونفسية وغيرها تكلم فيها بعض العلماء كالدكتور القاسمي والدكتور شحادة الخوري وغيرهما ، فمن أراد التوسع فليرجع إلى مصادرها .

الإطار العام لحركة التعريب

ظهر العديد من المفاهيم حول التعريب نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها كل بلد . ويمكننا القول بصورة عامة أن الهدف من التعريب هو أن تكون اللغة العربية أداة تثقيف ومعرفة وتنظيم اجتماعي واقتصادي وتوجيه سياسي^(٢) .

وفي هذا الصدد يبرز في الوطن العربي من خلال الخبرة التاريخية نموذجان للتعريب : النموذج المشرقي والنموذج المغربي ، وكلا النموذجين يتفاعل بعضهما مع بعض في مجالات إسهام العرب ومشاركتهم في الحضارة العالمية الحديثة من خلال إدارة لغوية ممثلة باللغة العربية . ويتسم النموذج المشرقي (القاهرة ودمشق وبغداد وعمّان) بالسمة اللفظية وبالصبغة الفنية التخصصية الدقيقة ... وأما النموذج المغربي فإنه يعنى شمول عملية التعريب وعموميتها لجميع الأنشطة داخل المجتمع^(٣) .

وللتعريب عدة مفاهيم من حيث مجالات العمل والتفكير باللغة العربية ، فهناك المفهوم الديني الإسلامي والمفهوم التعليمي ، أو المفهوم الاجتماعي الحضاري والمفهوم الأدبي العلمي . ويربط المفهوم الأول للتعريب بين العربية والإسلام ، وقد افتتح العرب والبلاد الأخرى بدافع ديني ودعمه عامل اللغة . وبهذا اعتمدت الأمة العربية في قيادة العالم الإسلامي على أصالتها الحضارية والثقافية وعلى لسانها الناطق بلغة القرآن الكريم^(٤) .

(١) الخوري (شحادة) : نفس المرجعين .

(٢) المطوع (د / نجاة عبد العزيز) : آفاق الترجمة والتعريب . عالم الفكر ١٩ (٤) ١٩٨٩ م .

(٣) المطوع (د / نجاة عبد العزيز) : نفس المرجع .

(٤) أحمد (نازلي معوض) : التعريب والقومية العربية في المغرب العربي . مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ م .

ويعنى المفهوم التعليمى للتعريب اعتماد النظام التعليمى فى البلاد على اللغة العربية كوسيلة للتدريس والتحصيل . وهو يستند إلى التعريب فى التعليم بجميع مراحلہ ؛ وذلك لأنه الميدان العريض للاختبار والتجريب وسرعة ظهور النتائج وتعميم الفائدة من أجل التخطيط للمستقبل . وقد تحقق هذا المجال من التعريب فى البلدان العربية ، إلا أنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من العناية فى الصومال والجزائر والمغرب^(١) .

والتعريب يعنى باختصار إعطاء اللغة العربية فى البلاد العربية منزلتها الطبيعية كلغة قومية تضطلع بمهمة التعبير ، بصفة رئيسية أساسية ، على كافة المضامين والمفاهيم المتداولة فى المجتمع ، كما تعتمد لغة أساسية فى البحث والتعليم بجميع مراحلہ واختصاصاته ، وتتخذ لغة عمل الإدارة والاقتصاد والإعلام وكافة مرافق المجتمع ومؤسساتها . فالتعريب ، بهذا المعنى ، يهدف إلى تحقيق وضع لغوى طبيعى فى الأقطار العربية ، تعتمد فيه اللغة الأم لغة أساسية تماماً ، كما تعتمد اللغة الأم فى مختلف البلدان التى لا تخضع لتبعية لغوية ثقافية^(٢) .



(١) لجنة تنسيق التعريب : الدخيل فى اللغة العربية « التخاطب العام » . مركز بحوث المناهج بوزارة التربية بالكويت . ١٩٨٦ م .

(٢) القاسمى (د / على) : مقدمة فى علم المصطلح « المصطلحية » . الموسوعة الصغيرة (١٦٩) دائرة الشؤون الثقافية والنشر بالعراق ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .